قسم اللغة والأدب العربي

مادة الشعر المغاربي الحديث

**المحاضرة الثامنة**

**التيار التحديثي في الشعر المغاربي**

**2- في المغرب الأقصى:**

لربما جاز القول بأن كافة التداعيات المأزقية للشعر المغربي ستعرف كثافتها القوية تزامنا مع ميلاد القصيدة الحرة المغربية، انطلاقا من أواخر العقد الخمسيني، وفي هذا السياق سيكون مجديا أن نستكنه الدلالة الأكاديمية، والسيكولوجية كذلك، لدراسة الشاعر **أحمد المجاطي** التي تحمل عنوان **أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث**، فهذا البحث الجامعي الذي دافع عنه صاحبه في جامعة الرباط، يلوح، نوعا من تصفية حساب تاريخي وثقافي، قاسية، مع الحداثة الشعرية العربية، وبالتالي مع مشرق مطمئن، كعادته إلى كشوفاته الإبداعية، تصفية حساب يمارسها شاعر، قبل أن يكون باحثا، يعد رأس الرمح في المشروع الشعري التحديثي.

فالحداثة الشعرية باعتبارها نتاجا مشرقيا، ستصبح على يد الشاعر مجرد عثرات ومزالق وأوهام، بل وترديات قاتلة، يستفاد منها في المحصلة، فشل المركزية الشعرية العربية في بناء نص حداثي لا مراء في جدارته الإبداعية. هي أزمة تاريخ مغربي بطيئة انتقالاته، تاريخ تترصده إعاقات شتى تندر معها انفراجاته الممكنة[[1]](#endnote-1)[4].

ففي اللحظة التي اقتحمت فيها القصيدة الستينية بالمشرق آفاقا تجريبية على جانب من الشسوع والخصوبة كانت القصيدة الحرة بالمغرب لا تزال قيد التخلق، تتلمس إمكان تواجدها في مناخ تسوده سلطة التقليد الشعري، ممثلا في شعراء كعبد المالك البلغيثي، ومحمد المكي الناصري، والمختار السوسي، ومحمد القري، وعلال الفاسي… ومن ثم فإن جيل الخمسينات الذي كان منتظرا، من حيث المبدأ، تكفله بخطوة الريادة الشعرية لنموذج القصيدة الحرة في الأدب المغربي الحديث، وذلك على غرار الأجيال الخمسينية في مصر ولبنان وفلسطين والسودان.. وسيلفي نفسه، بضغط من ثقافة غير منفتحة على التجديد، راضيا بمكتسب القصيدة الرومنتيكية وقنوعا بمشترطاتها الأدائية الميسرة، وهذا ما يصدق على كل من عبد الكريم بن ثابت، وعبد القادر حسن، ومصطفى المعداوي، وعبد المجيد بن جلون، وإدريس الجائي…

فعند نهاية الأربعينات، كما أومأنا قبل حين، انطلقت على يد نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وبلند الحيدري، حركة تجديدية، مصيرية في تاريخ الشعري العربي، انضوى إلى صفها، فيما بعد، شعراء عراقيون كسعدي يوسف، وكاظم جواد، وموسى النقدي.. وعرب كخليل حاوي، وصلاح عبد الصبور، وأدونيس.. حركة اقتدرت، رغم ما شاب بداياتها من تشوش تصوري وتهيب إبداعي، على إحداث شرخ غائر في بنية القصيدة العربية، سيان على صعيد تشييد الجملة الشعرية أو اجتراح تيمات شعرية عميقة.

وبخصوص المغرب بالذات فإن التجليات الأولى لهذه الحركة التجديدية، العربية الكاسحة، سوف لن تنفرز إلا عبر نصوص ما اصطلح عليه بجيل الستينات، بما هو ضمنيا، جيل الريادة في هذا الباب، جيل أحمد المجاطي، ومحمد السرغيني، ومحمد الخمار الكنوني، وعبد الكريم الطبال، ومحمد الميموني، وعبد الرفيع جواهري، وأحمد الجوماري، ومحمد علي الهواري، وأحمد صبري، وبنسالم الدمناتي..

والواقع أن العقد الستيني بقدر ما يجسد الذروة التصعيدية لمأزقية الهوية الشعرية المغربية فهو يمثل، بالموازاة من ذلك، مفرقا دقيقا في سيرورة تاريخنا الشعري برمته، ومع هذا فلا أحد من نقاد تلك الفترة، أو شعرائها، رأيناه يزمع على مساءلة التجربة الشعرية الستينية والتفكير في جوهرها التأسيسي، وفي ما تركته من آثار شملت العقود والأجيال الموالية. وعلى ذكر الشعراء فإن ثلاثة شعراء ستينيين، يجمع الكل على وزنهم الإبداعي الضارب، هم أحمد المجاطي، ومحمد السرغيني، ومحمد الخمار الكنوني، كان متاحا لهم، من موقعهم الجامعي، أن ينجزوا هذه المهمة، إلا أنهم فضلوا العمل على مشاريع أكاديمية أخرى متنازلين بهذا عن تناول تجربة جيلهم الشعرية لصالح أبنائهم الشعريين المحتملين، وهو ما سيتأتى، فعلا، خلال السبعينات.

كانت تلك هي الخلفية التي وجهت شاعرا سبعينيا، هو محمد بنيس، معنيا بالحداثة الشعرية المغربية، لكنه معني قبل كل شيء بالموروث الشعري الذي تحدر إلى جيله من آبائه الشعريين الروحيين، إلى إنجاز دراسته الأكاديمية ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، وقد "استهدفنا في هذا البحث القيام بمحاولة لقراءة المتن الشعري المغربي المعاصر، وهي بالنسبة لنا بمثابة مجهود ينطلق أساسا من ضرورة ممارسة قراءة نقدية، لا تنبهر بهذه الظاهرة ولا تستخف بعطائها، وهي بذلك غير بريئة، ولا كاملة. إنها مرتكزة على اختيار منهجي، قوامه اعتبار الظاهرة الشعرية المعاصرة بالمغرب، وغيرها من الظواهر الأدبية، نتاجا لغويا متميزا، له قوانينه الخاصة، وجدت في ظروف تاريخية واجتماعية محددة"[[2]](#endnote-2)[5].

سينتهي الشاعر-الباحث إلى تسطير ما ارتآه حدودا خمسة للمجال الشعري المسيج لتجربة المعاصرة وهي: الظهور المتأخر بالمغرب، حركة أفراد وليست حركة مدرسة، الضعف في الكم، وضعية النقد، بين اليمين واليسار. منافحا، في غضون هذا التوصيف، عما اعتبره بنية للسقوط والانتظار، مؤداها أن شعراء العقد الستيني لم يكن مخولا لهم سوى تدريج وعي ثبوتي لأنهم كانوا جزءا لا يتجزأ من برجوازية صغرى أحبطت آمالها التاريخية العريضة جراء خيبات عهد الاستقلال.

ومما لا شك فيه أن توسل محمد بنيس بهذا المنبر الأخير، متعاونا مع الشاعر عبد الله راجع، في مطارحة جملة من القضايا المركزية في الشعرية المغربية المعاصرة، إن كان يدل على شيء فهو يدل على تضافر رغبتين متكاملتين، أولاهما علمية مقيدة منفذها المؤسسة الجامعية، أما الثانية فثقافية متحررة فسحتها الوسائط الإعلامية.

فدراسة الصديق محمد بنيس ركزت على أغلب الأسماء التي كان لها حضورها القوي في الساحة الشعرية خلال مرحلة الستينات وبداية السبعينات، وكان لدي إحساس قوي بأن الأسماء التي ظهرت بعد هذه الفترة يملك الكثير منها نكهة متميزة ومذاقا مغايرا لما كان سائدا في الستينات،

هكذا، وارتكازا على متن شعري يضم نصوصا لشعراء منهم محمد بنيس، وأحمد بلبداوي، ومحمد بنطلحة، وعلال الحجام، ومحمد الأشعري، وأحمد بنميمون… علاوة على نصوصه هو الآخر، ستفضي به مقاربته البنيوية التكوينية، المرفقة بهاجس تحليلي نفساني بين، إلى ضبط معالم بنية مستحكمة في هذا المتن سيعمدها ببنية الشهادة والاستشهاد:

مما استعرضناه يتبين أن مسألة البحث الأكاديمي في الشعر المغربي، قديمه وحديثه ومعاصره، تأخذ أوجها متفارقة في مسارات الباحثين العلمية. وفي مرحلة لاحقة سنرى الجراري ثابتا على نفس الاهتمام بالأدب المغربي القديم، موازاة مع أبحاثه الفكرية والعقدية، والطريسي مواظبا على متابعة قضايا الشعر المغربي الحديث والمعاصر، مفردا في كتابيه التصور المنهجي ومستويات الإدراك في العمل الأدبي والشعري والشعرية بين المشابهة والرمزية: دراسة في مستويات الخطاب الشعري أحيازا وافية لشعراء كمحمد المختار السوسي، ومحمد الحلوي، وعبد المجيد بنجلون، وأحمد المجاطي، إلى جانب شعراء عرب كحافظ إبراهيم، والسياب، والبياتي، وأدونيس.

على أي، ومهما تعددت الآراء بخصوص الشعر المغربي المعاصر فنحن لا يمكن أن نتنكر للجهد الإبداعي الذي اشتركت فيه أجياله المتعاقبة، كل ضمن حيثيات فترته وأسبقياتها وممكناتها، كما لا يمكننا التهوين من قيمة الدفعة التداولية والحوارية التي أمدته بها الدراسات الأكاديمية والنقدية التي اتخذ بعضها هيئة كتب، أو المقالات التي نشرتها الصحف والمجلات المومأ إليها آنفا، أو الندوات التي نظمها اتحاد كتاب المغرب.

1. [4] - هذه النقطة عالجناها بشيء من التوسع في دراستنا لتجربة أحمد المجاطي الشعرية، الموسومة بـ(عندما يسعف الموت ولا يسعف التاريخ ولا العبارة)، والمنشورة في مجلة آفاق، ع58، 1996. [↑](#endnote-ref-1)
2. [5] - محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، 1979، ص389. [↑](#endnote-ref-2)